حكايات نحبها جميعاً

(١٢)

لقد أجرنا من أجرت

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

obeikandl.com

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandi.com

الهُرُوبُ مِنْ صَخَبِ المَدِينَةِ!!

التَقَتْ (نَاهِدٌ) بِصَديقتِهَا (هِند).. وَبعدَ تَرْحِيبٍ وَعِنَاقٍ.. فَتَحتَا حَدِيثَ الذِّكْرياتِ.

قَالتْ (هِنْد): مَا أَحْلىٰ أيَّامَ الطُّفولةِ يَا نَاهِد!

ابتَسَمَتْ (نَاهدٌ) وَقالتْ: وَلمَ ذَلكَ يَا عَزيزَتِي؟

قَالتْ (هِند): في أيَّامِ الطُّفولةِ ليسَ هُناكَ هُمومٌ ولاَ واجباتٌ ولا مَسْؤوليَّاتٌ..

إنَّما حَياةُ الطُّفولَةِ كلّها فَرحٌ ومَرَحٌ وَأحْلامٌ..

فَقالتْ (نَاهِدٌ): وَلكِن مَا فَائِدةُ التَّمنِّي.. وَقِطارُ العُمُرِ يَسيرُ بِسُرعَةٍ كَبيرةٍ.. وَاليومُ الذي

obeikandl.com

يَنقَضِي لاَ يَعودُ.. فَهَنيئاً لمنِ اسْتفَادَ من عُمُرِه وَلم يُضيِّع أيَّامهُ سُدىً..

ثُمَّ جَلستَا عَلىٰ كُرسيٍّ مِن كَراسِي الحَديقَةِ العَامَّةِ.. وَرَاحَتَا تَسْتَمتعَانِ بِالمَنَاظِرِ الخَلاَّبةِ والجَمِيلةِ.. هُنَا وُرودٌ وَزهُورٌ.. وَهناكَ أَشجَارٌ بَاسِقَةٌ.. وَتلكَ بحيرَةٌ رَائِعةٌ.. فِيهَا بَعضُ أَنواعِ الطُّيورِ والأَسْماكِ.

وَدَارَ بينهمَا حَدِيثٌ عَن كَيْفيَّةِ الخَلاصِ من الضَّوضَاءِ و.. صَخَبِ المَدِينَةِ المُزْدَحِمَةِ.. وَتَقارَبَتْ وُجُهَاتُ النَّظَر عَلىٰ أنَّه لا حَلَّ للإنسانِ المُعَاصِر إلاَّ بالهُروبِ من صَخَبِ المَدِينَةِ ، والارْتِمَاءِ فِي أَحضَانِ الطَّبيعةِ الجَمِيلةِ..

والتَفَتَتْ (هِنْدٌ) نَحو اليَمينِ.. فَلمحَتْ صَدِيقتَها (مَيْسُون) تَسِيرُ مَع شَابٍّ من الشَّبابِ وَبدُونِ شُعورٍ صَاحتْ: مَيْسُون.. يَا مَيْسُون..

توقَّفِي.. أَنا مُشتَاقَةٌ إليكِ..!!

ضَحِكَتْ (نَاهدٌ) ضِحْكَةً من العُمقِ وَقالتْ: مَاذا دَهاكِ يا عَزيزَتي؟ أَو نَسيت أنَّنا نَجلسُ في مَكَانٍ عَامٍ ، حَيثُ النَّاسُ حَولنَا في كلِّ مكَانٍ؟!

وَاقتَرَبَتْ (مَيسونُ) مِن مَصدرِ الصَّوتِ وَيا لهولِ مَا رَأَتْ..: صَدِيقَتي العَزيزَةُ (هِنْدٌ).. مُنذُ كَم من السَّنواتِ لمْ نَلتق؟ مَاذا جَرى لكِ..؟ لقَدْ كَبــرتِ وَأصبحْــتِ فِــي رَيعَــانِ الصّبَــا ، آه يَا صَدِيقتي.. لَو تَدْرِينَ كَم أَذكركِ بينَ صَديقَاتِي وَبَينَ أَهْلِي.. وَهَا هوَ الشَّابُّ (أَحمَد) أَخِي سَليهِ.. إنَّه يعرفُ عنكِ الكَثيرَ دُونَ أنْ يَعرفَكِ..

وَجَلسُوا جَمِيعاً إلى جوارِ بحَيْرَةِ المَاءِ.. بينمَا رَاحَ (أَحمَدُ) يمدُّ يدهُ إلىٰ المَاءِ يُحاولُ أن يُمْسِكَ البطَّةَ البيضَاءَ.. أَو السَّمكَةَ المُلوَّنة.. لكِن دُونَ جَدوَىٰ..!

وَبينَمَا الفَتَياتُ يتَجَاذَبنَ أَطرافَ الحَدِيثِ.. سَأَلتْ (مَيسُونُ) صَدِيقَتَها (نَاهِد) عَن آخرِ نَشَاطَاتِهَا.

فَأَجابَتْها (نَاهدٌ): إنَّ لديَّ مَشْروعاً كَبِيراً ، فإننَا بِصَدَدِ البَحْثِ والتَّفتِيشِ عَن تَراجِمِ النِّساءِ اللاتِي سَطَّرْنَ في التَّاريخِ صَفَحاتٍ مُشْرِقةً ، سَواء كَانَ ذَلِكَ في مَجَالِ العِلمِ أَو التَّربيةِ أَو الفُرُوسيَّةِ أَو التَّضْحِيَةِ ، وَما إلى هُنالكَ.

قَالتْ (هِندٌ): وَقَد خَطَتْ صَدِيقَتُنا (نَاهدٌ) خُطُواتٍ كَبيرةً في هَذا المَجَالِ ، وَلقدْ دوَّنتْ عَدَداً لا بَأْسَ بهِ من تِلكَ التَّراجِمِ.

ابتَسَمتْ (مَيْسونُ) ثُمَّ قَالتْ: وَلكِنْ لِمَاذَا اختَرْتِ أَن تكونَ التَّراجِمُ كلّهَا لِنساءٍ ، وَلمْ تَكُنِ المَسأَلةُ للرِّجالِ والنِّساءِ مَعاً؟!

وَوَقفتْ (نَاهدٌ) علىٰ الكُرسيِّ ثُمَّ قَالتْ بِصَوتٍ جَهورِيٍّ: سَأُصبحُ مُحَامِيةَ الدِّفاعِ عنِ المَرأَةِ وقَضايَاهَا ، وَذلكَ لأنَّ لِلرِّجالِ مُدَافِعينَ كُثُر... بَينمَا لا تَجدينَ إلاَّ القلَّة القَليلةَ من الذينَ يُدافِعونَ عَن المَرأةِ!!

تَقدَّمَ الشَّابُّ (أَحمَدُ) مِنهنَّ ثُمَّ قَالَ: فَهلاَّ استَفَدنَا مِن هَذا الوَقْتِ الضَّائعِ.. وَاستَمعْنَا إِلى بَعضِ مَا كَتَبَتْهُ البَاحِثةُ (نَاهِد)..؟!

قَالتْ (هِندُ) وَعلامَاتُ التَّعجُّبِ بَادِيةٌ علىٰ وَجْهِهَا: وَماذا يدرسُ أَخوكِ الشَّابُّ يَا مَيسُون؟!

إنَّهُ لا يُريدُ أَن نضيِّعَ حَتَّىٰ بعضَ الدَّقائقِ.. يَبدُو أنَّه قَد نظَّم وَقتَهُ إلىٰ حَدٍّ عَجيبٍ!!

هَـزَّتْ (مَيسُـون) رَأْسَهـا وَقـالـتْ: أَجـلْ يَا صَدِيقَتي ، فَأَخِي (أَحمَد) لَديهِ برنَامَج مُكَثَّفٌ..

فَإذا لمْ يكنْ فِي مَجَالاتِ الدِّراسَةِ والبَحثِ.. فهوَ فِـي المَجَـالاتِ العَمليَّـةِ.. وإلاَّ فهـوَ فـي زِيـارةٍ سَـريعـةٍ لـواحِـدٍ مـن الأَقَـاربِ أَو الجِيـرانِ أَو الأَصدِقَاءِ.. ، وإلاَّ فَهوَ فِي دَائِرَةِ التَّأمُّلِ والنَّظَرِ والتَّفكُّرِ.. وإلاَّ فهوَ فِي بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ..!!

هَكَـذَا نِظَـامُ حَيَـاتِـهِ ، لا يَكـلُّ ولا يَمـلُّ.. وَلاَ يُضيِّعُ وَقتهُ سُدىٰ ، إنَّما يُذكِّرنَا دَائماً بأنَّنا سَنُسألُ عن الوَقتِ والصِّحةِ والمَالِ والعَلمِ ، ثُمَّ التَفتتْ نَحْوَ (نَاهِد) وابتَسمتْ وَهيَ تَقولُ:.. وَهَنِيئاً لمَن سَتكونُ شَرِيكَةَ حياتِه بَعدَ حِينٍ!!

وأَخَذتْ (نَاهِدٌ) محفَظَة أَوراقِهَا.. وَفَتَحَتْها.. وَراحَـتْ تَبحـثُ عَـن وَرَقـةٍ فيهَـا ، حتَّـىٰ إذا مَا وَجَدتهَا أَخرجَتهَا.. وَنظرتْ إلىٰ الشَّابِّ والصَّديقاتِ ، ثُمَّ قَالتْ: إذَا سَمَحتُمْ لِي فَسَأقرأُ ما كَتَبتهُ اليَوم.. مِنَ المَراجِعِ والمَصَادرِ التي

فَتَّشَتُ فِيها عنِ التَّراجِمِ ، وَذلكَ قبلَ ظُهرِ هَذا اليَوم ، حَيثُ كنتُ في زِيارةٍ للمَكْتَبةِ التَّاريخيَّةِ.

وأَعْرَبَ الجَميعُ عَن رغبتِهم بالاسْتِمَاعِ إلىٰ صَدِيْقَتِهِمْ.. ، دَاعينَ اللهَ لهَا بالتَّوفيقِ والسَّدادِ لإكمالِ هَذا المَشروعِ الضَّخمِ والنَّافِعِ إن شَاءَ اللهُ..

إنَّهَا ابنةُ عَمِّ رَسولِ اللهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ

وَراحَتْ (نَاهدٌ) تَقرأُ عَلىٰ صَدِيقَاتِهَا هَذا المُلخَّصَ المُفِيدَ:

(أُمُّ هَانِئ) صَحَابيَّةٌ جَليلةٌ مِن صَحَابيَّاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، سَيِّدةٌ فَاضِلةٌ، تَرْبِطهَا بالمُصْطَفَى قَرابةٌ شَديدَةٌ ، فَهِيَ ابنَة عَمِّهِ أَبي طَالبٍ ، وَأمّهَا هِيَ السيِّدةُ فَاطمةُ بنت أَسَدٍ ـ وَالدةِ الإمَام عَليٍّ ـ رَضيَ اللهُ عنِ الجَمِيعِ.

وعندمَا بَلغَتْ مَرْحَلةَ الصِّبا تَزوَّجَها (هُبَيرةُ ابنُ عَمْرو المَخْزُوميُّ) وَهوَ أَحدُ شُعراءِ قُرَيشٍ ، ولمَّا أَرسلَ اللهُ إلىٰ العَالَمِ نبيَّنَا مُحمَّداً صَلواتُ اللهِ عَليهِ ، لمْ يَدخلْ (هُبَيرةُ) فِي الدِّينِ الحَنِيفِ ، وكَذلكَ زَوجتهُ (أُمُّ هَانِئ).

وَقَفتْ (مَيسونُ) وَقالَتْ: وَكيفَ ذَلِكَ ، وَهيَ ابنةُ عَمِّ رَسولِ اللهِ..؟!

فَقالَ (أَحمدُ): عُذْراً من الأُختِ البَاحِثَةِ (نَاهِد) عَن هَذهِ المُقَاطَعَةِ ، وَسَأُجيبُ بِكَلماتٍ مُخْتَصَرةٍ إِنْ شَاءَ اللهُ:

القَرَابَةُ في مِيزَانِ الشَّريعةِ الإسلاميَّةِ لا تُقدِّمُ ولا تُؤخِّرُ ، فَهناكَ من كانُوا بَعيدينَ فِي القَرابةِ عَنِ الأنبياءِ والمُصْلحِين ، ومَعَ ذَلكَ سَطَّروا عَلىٰ

صَفَحاتِ التَّاريخِ أجملَ وَأحسنَ صَفحاتِ المَجدِ والفَخَارِ.

وَبالمُقَابلِ هُناكَ أُناسٌ قَريبونَ جِداً من أَنبياءٍ أو مُصْلحينَ... وَمعَ ذلكَ عَاشُوا حَياةَ الشِّركِ والكُفْرِ.. وَماتُوا عَلىٰ أَسوأ حَالٍ..

وَفِي القُرآنِ الكَريمِ نَماذجُ لإيضاحِ الفِكْرَةِ:

فِي سُورةِ هُودٍ حَديثٌ مُسْتَفيضٌ عَمَّا جَرىٰ بينَ شَيخِ الأَنبياءِ نُوح عليهِ السَّلامُ وبينَ ابنهِ الذي تَمرَّد علىٰ منهجِ أَبيهِ.. وَعانَدَ واسْتَكبرَ حتَّىٰ أَصبحَ من المُغْرقِينَ.

قَالَ اللهُ تَعالَىٰ في سِياقِ الحِكَايةِ:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ

لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [هود: ٤٢ ـ ٤٧] **فابنُ سيِّدنَا نُوحٍ أُغرِقَ ولمْ يَستفدْ من تلكَ القَرابةِ أيّ شَيءٍ.**

وبالمقابلِ: الصَّحابيُّ (سَلمانُ الفَارِسيُّ) من إيرانَ قَالَ عنهُ النَّبيُّ صلواتُ اللهِ عَليهِ: «سَلمانُ منَّا أهلَ البَيتِ» وَرَحِمَ اللهُ القَائِلَ:

كَانَتْ مودَّة (سَلمَان) لهُم رَحِماً

وَلمْ تكُنْ بينَ (نُوحٍ) وابنِهِ رَحِمُ!!

قَالتْ (نَاهدٌ): صَدقْتَ يا أُستَاذ (أَحمَد).

وَكذلكَ فإنَّ عمَّ النَّبيِّ أَبا لَهَبٍ لمْ يَسْتَفدْ من قَرَابتهِ أيّ شَيءٍ ، إنَّما سَطَّر القُرآنُ آيةً ـ بلْ سُورةً ـ تذمُّ أبَا لَهبٍ إلىٰ يَومِ الدِّينِ ، وهيَ سُورَةُ المَسَد..

إنَّهُ الفَتْحُ الأعْظَمُ!!

وَفِي رَمضَانَ منَ السَّنَة الثَّامنةِ للهجرَةِ شَاءَ اللهُ أن يكُونَ الفَتْحُ الأَعظَمُ ، فَتْح مكَّةَ المكرَّمةِ ، حَيثُ سَقَطَتْ عَاصِمَةُ الشِّركِ ، وَكُسِّرتِ الأَصنَامُ التي وضَعَها المُشْرِكُونَ حَولَ الكَعْبةِ المُقدَّسةِ.. ، وَوَقفَ رَسولُ اللهِ صَلواتُ اللهِ عَليهِ إلىٰ جِوارِ الكَعبةِ وَأَلقَىٰ خُطبتَهُ العَصْمَاءَ ،

وَالتي جَاءَ فِيهَا: «يا مَعشرَ قُرَيشٍ ، مَا تَرونَ أنِّي فَاعلٌ بِكُم؟» قَالُوا: خَيراً ، أخٌ كَرِيمٌ وابنُ أخٍ كَرِيمٍ.

قَالَ: «فَإنِّي أَقولُ لكُم كَما قَالَ يُوسُفُ لإخوَتِهِ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [يوسف: ٩٢] اذْهَبُوا فَأنتمُ الطُّلقَاءُ».

وَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً ، وَكَانَ من بَينهمْ (أُمّ هَانِئ بنت أَبي طَالِبٍ). وَشَاءَ اللهُ أَن يُكْرِمهَا بِفَضْلٍ خَصَّها بِهِ دُونَ غَيرِهَا..

تُحدِّثنَا كُتُبُ السِّيرةِ أَنَّ الرَّسولَ ﷺ دَخَلَ دَارَ ابنَةِ عَمِّهِ (أُمِّ هَانِئ) ، فَاغتسَلَ ، وَصلَّىٰ ثَمانِيَ رَكَعاتٍ في بَيْتِهَا... وَهَذهِ هِيَ صَلاةُ الفَتْحِ..

ثُمَّ التفتَ إليهَا وَسألَهَا: «هَلْ عِندَكِ مِن طَعَامٍ نَأكُلُه؟».

قَالتْ: لَيسَ عِندِي إلاَّ كسرٌ يَابِسَةٌ ، وَأَنا أَسْتَحِي أَن أقدِّمهَا إليكَ.

فَقالَ: «هَلمِّي بِهنَّ» ، فجاءَتْ بِهنَّ وَبقليلٍ منَ الخلِّ ، فلمَّا أكلهنَّ قَالَ: «نِعمَ الإدامُ الخَلُّ ، يَا أُمَّ هَانِئ لاَ يفْقرُ بَيتٌ فِيهِ خَلٌّ».

ثُمَّ قَالتْ: يَا رسولَ اللهِ! لقدْ فَرَّ إليَّ رَجلانِ من أحمَائِي ، وَدَخلَ عليَّ أَخِي عليٌّ يُريدُ قَتْلهمَا ، فقلتُ: يا عَليّ! لقَدْ أجرتُهمَا..

فَابتَسَم رَسولُ اللهِ ﷺ وَقالَ: «مَرْحَباً وَأهلاً يا أُمّ هَانِئ ، لقَدْ أجرنَا مَنْ أَجرتِ ، وأمَّنا مَنْ أمَّنتِ».

وَهكَذا عَاشتْ (أُمُّ هَانِئ) بقيَّة العَهدِ الرَّاشديِّ ، حَيثُ كانَ الصَّحابةُ الأَكارِمُ يَعرفُونَ فَضلَها وَمَكانَتَها ، حَيثُ رَوتْ كَثِيراً منَ الأَحادِيثِ

النّبويَّةِ ، وشاركَتْ فِي بَعضِ الغَزَواتِ ، كغزوَةِ خَيْبرَ و..

حتَّى إذا مَا كَانَتْ سَنةُ خَمْسينَ للهجرَةِ أَسْلمتِ الرُّوحَ إلىٰ بَارِئِهَا.. فَرَضِيَ اللهُ عَنهَا وَأَرضَاهَا..

وَالحمدُ للهِ ربِّ العَالمِينَ

obeikandl.com